

الازدواجية اللغوية في ضوء اللسانيات المعاصرة

Bilingualism in the Light of Contemporary Linguistics

د/ حمزة لكحل *

Hamza lakehal

جامعة الحاج لحضر-باتنة/ الجزائر

University Of Batna 1 - Hadj Lakhdar/Algeria

hamza.lakhal@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2021/09/02

تاريخ القبول: 2021/05/27

تاريخ الإرسال: 2020/11/07

ملخص البحث

تعد الازدواجية اللغوية من بين الظواهر اللغوية الاجتماعية التي اختلفت الآراء والتحليل التي تناولتها بالدراسة، فقد حاولت كثير من بحوث اللسانيات الاجتماعية ضبط هذه الظاهرة والإحاطة بجوانبها وذلك من خلال تناولها بالبحث والدراسة من كل جوانبها بدءا بالمفهوم الذي نجد أن معظم الباحثين والدارسين لهذه القضية اتفقوا على أن الازدواجية اللغوية يقصد بها امتلاك لغتين مختلفتين واستعمالهما بنفس الدرجة. ونسعى من خلال هذه الورقة البحثية لرصد أهم الآراء التي تطرقت لقضية مصطلح الازدواجية اللغوية، وكذا أنواع الازدواجية اللغوية وأهم الأسباب التي أدت لوجودها. ومن هذا المنطلق تأسست اشكالية البحث الأساسية وهي: ماهي الازدواجية اللغوية؟ وماهي أهم أنواعها؟ وماهي العوامل والأسباب التي أدت إلى ظهورها؟ .

الكلمات المفتاح: الازدواجية اللغوية؛ الدرس اللساني؛ اللسانيات الاجتماعية؛ اللغة؛ الاستعمال اللغوي.

Abstract :

Linguistic bilingualism is one of the sociolinguistic phenomena which have been the subject of diverging opinions and analyzes which have been addressed in the study. Many studies in sociolinguistics has attempted to adjust this phenomenon and to identify its different facets by researching it, starting with the concept of bilingualism that most researchers and specialists in this question agreed that it means having two different languages and using them in the same way. Through this research paper, we aim to study the most important opinions that have

* حمزة لكحل . hamza.lakhal@univ-batna.dz

addressed the concept of bilingualism, as well as the types of linguistic bilingualism and the most important reasons that led to its existence. Accordingly, the following problematic has been formulated: What is linguistic bilingualism? What are the most important types? What are the factors and causes that led to its emergence?

Keywords: bilingualism; Language lesson; Sociolinguistics; Language; Linguistic use.



أولاً: حول مصطلح "الازدواجية اللغوية"

لقد وردت تعريفات عديدة لمصطلح الازدواجية اللغوية في كثير من المعاجم، ولدى عديد الباحثين، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى كون أن كل بحوث الازدواجية اللغوية يواجه أصحابها صعوبة بالغة في تعريف معنى الكلمة Bilinguisme، وهذه الصعوبة لا ترجع بالدرجة الأولى إلى تعدد وكثرة الطروحات حول الموضوع، وإنما كذلك إلى الخلط والالتباس الحاصل في فهم هذه الظواهر.

ولذا يعد مصطلح الازدواجية اللغوية كعدد كبير من المصطلحات التي تعددت فيها وجهات النظر، واختلفت في وصفه أعلام الباحثين العرب، وهذه بعض المفاهيم حول هذا المصطلح: ويعرفها المعجم المفصل في علوم اللغة بأنها: "حالة وجود لغتين عند شعب ما، كتلكم يهود أمريكا اللغتين العبرية والإنجليزية"¹. ولقد اعتاد اللسانيون أن يطلقوا مصطلح الازدواج اللغوي Bilinguisme على وضعية لغوية تتميز بأن يتواجد في البلد الواحد لغتين من نمطين مختلفين، كالعربية والفرنسية في وسط المغرب، والعربية والاسبانية في شماله وجنوبه، وهما مع ذلك الاختلاف تستعملان بنفس الطلاقة من قبل المتكلمين.²

كما جاء في تعريف الازدواجية اللغوية بأنها: "الازدواجية اللغوية هي استعمال نظامين لغويين في آن واحد للتعبير أو الشرح، وهو نوع من الانتقال من لغة إلى أخرى، وهذا موجود كظاهرة لغوية اتصالية في الشعوب التي خرجت من الاستعمار وبقيت آثار لغة العدو باقية في التواصل اليومي، والذي أصبح بشكل من الأشكال صورة عفوية للممارسات الكلامية العادية"³.

يقصد بالانتقال في هذه الحالة، التغيير الذي يحدثه المتكلم، وكأنه انتقل من مستوى لآخر، وهذا بسبب الشرح أو المقام أو الحال، ويلقبه الغريون Code switching وفي أغلب الأحيان يكون الانتقال محبوبا ومطلوبا كونه يؤدي المراد والمقصود للمتلقى.⁴

ويعرف Bilinguisme الازدواج اللغوي على النحو التالي: "وهو أن يجيد المرء لغتين معا إجادة تامة، لغة الأصل ولغة أخرى، وقد يكتسبهما معا، وقد يكتسب لغة الأهل أولا".⁵ من خلال هذا التعريف نجد أن شرط الازدواج اللغوي، هو الإجادة التامة لنظامين لغويين مختلفين، حيث أنه يستطيع المتكلم أن يعبر باللغتين وبكل طلاقة وسهولة.

أما الباحث الفرنسي ماروزو Jean Marouzu، في سنة 1961، يرى ظاهرة الازدواجية اللغوية من منظور اجتماعي مادام يتكلم عن شعب يعتمد بطلاقة وبدون تمييز بين لغتين كما يوضح ذلك تعريفه التالي: "الازدواجية اللغوية هي خاصية وميزة الفرد أو الشعب الذي يعتمد في حديثه بسهولة على لغتين مختلفتين لكن قدراته ومؤهلاته في لغة تكون أكثر وأوفر من اللغة الأخرى".⁶

أما عن تعريف مصطلح الازدواجية اللغوية في المعاجم والقواميس الأجنبية فجاءت بمفاهيم عديدة، ولكنها تتفق إلى حد كبير في تعريف هذا المصطلح ومن بين هذه القواميس نذكر:⁷

- القاموس التطبيقي للفرنسية يعرفها: الازدواجية اللغوية هي ميزة وخاصية الفرد أو الشعب الذي يتكلم لغتين.

- معجم مصطلحات الإعلام الذي يعرفها: هي استخدام لغتين كما هو الشأن في بعض البلدان التي تتكلم لغتين.

- أما قاموس اللسانيات فيعرف مصطلح الازدواجية اللغوية على أنه: تعايش لغتين مختلفتين في نفس المجتمع أو الرابطة الاجتماعية بشرط أن يكون أغلبية الأفراد أو المتكلمين فعلا مزدوجي اللغة.⁸ ويبقى مصطلح الازدواجية اللغوية حسب هذه المعاجم والقواميس هو اللفظ العام والمناسب عندما يتعلق الأمر بممارسة لغتين مختلفتين أو عدة لغات متباينة.

ثانيا: أنواع الازدواجية اللغوية

1: الازدواجية اللغوية حسب السياسات اللغوية: وتندرج تحت هذا النوع مجموعة من الأنواع هي:

- الازدواجية اللغوية الوطنية Bilinguisme Nationalist:

نجد هذه الحالة في بعض البلدان التي لها لغة وحضارة مدونة، والتي اضطرت بعد حصولها على الاستقلال أن تخلق لنفسها هياكل دول مزدوجة اللغة لأسباب تاريخية استعمارية لا غير، وإن كان هذا النموذج أو الاختبار لا يؤسس ولا يشكل إلا حل مؤقت أو مرحلة انتقالية، إلى حين أن تتمكن هذه الدول من إثبات لغتها الوطنية لوحدها، كلغة رسمية كما هو الحال في بعض البلدان، كالجائز، المغرب، باكستان، الفلبين، الصومال.⁹

حيث أن هذه الدول خضعت لفترة طويلة من الحكم الاستعماري، وبعد نيل الاستقلال وجدت نفسها مطالبة بالمرور على مرحلة انتقالية للتمكن من ضبط لغتها الرسمية.

- الازدواجية اللغوية العرفية أو التقليدية **Bilinguisme traditionalist**:

هي حالة الدول المزدوجة اللغة التي تعترف إلى جانب لغتها الرسمية بالديموم والبقاء لأقلياتها اللغوية، لكن ليس على قدم واحد من المساوات فالحقوق اللغوية لهذه الأقليات اللغوية تكون محصورة في عدد محدود من الامتيازات خصوصا في المجال الثقافي والمجال التربوي، مثلما هو شأن بعض اللغات المحلية في الهند.¹⁰

هذا يعني أن هناك لغة واحدة تمتلك جميع أدوات السيادة، على حساب جميع اللغات الأخرى، لكن ما يهمنا هو الاعتراف الرسمي من طرف الدولة لغات أقلياتها التي يسمح لهذه الأقليات بأن تحافظ على هويتها اللغوية، ففي الهند اعتر الدستور بوجود أربعة عشر لغة رسمية.

2: الازدواجية اللغوية حسب درجة التطبيق: نقصد بتصنيف الازدواجية اللغوية حسب درجة التطبيق، أي إذا كانت الازدواجية اللغوية تطبق في البلد الواحد في جميع المجالات والقطاعات وعلى كافة المستويات، أم أنها تقتصر على مجالات وقطاعات معينة دون غيرها في حين هناك لغة محددة لقطاعات معينة، وهذا العنصر لدينا نوعين من الازدواجية اللغوية وهما:

- **الازدواجية العامة:** وهي التي لا يقتصر استعمال اللغتين فيها على قطاع من القطاعات الحيوية في المجتمع دون الآخر: "بمعنى أنها تشمل معظم المجالات الحيوية كالتعليم بجميع فروع ومراحل، والإعلام بجميع أنواعه، وكذا الإدارة والمؤسسات الرسمية والشعبية وهذا النوع من الازدواجية يعتمد في بعض البلدان العربية بدعوى مساعدة اللغة العربية على النهوض".¹¹

وهذا الاعتقاد الذي يرى بأن اللغة العربية لا تقدر في الوقت الحاضر على الأقل أن تكون لغة كل شيء في البلاد، وبالتالي يرى أصحابها استبقاء الوصي أو البديل إلى أجل غير معلوم، وذلك من أجل مساندة التطورات.¹²

- **الازدواجية الخاصة:** ويمكن تعريف هذا النوع كالتالي: "وهي أن تستعمل اللغة الأجنبية الدخيلة في قطاع بعينه، أو قطاعات من الحياة الاجتماعية دون الأخرى، كأن تستعمل في التعليم دون الإدارة، أو في التعليم العالي دون التعليم الثانوي والابتدائي، أو في الفروع العلمية دون الفروع الأدبية، أو في فروع التعليم التقني دون فروع التعليم العام، وذلك لأسباب تختلف من بلد إلى آخر".¹³

ويعود سبب استعمال هذه اللغة الأجنبية في قطاع معين دون القطاعات الأخرى، إلى اعتبار أن هذه اللغة هي لغة العلم والتكنولوجيا.

3- الازدواجية اللغوية حسب المدة التي تستغرقها والهدف من وجودها

قد يكون هدف الدولة من اتخاذها لوضعية الازدواجية اللغوية هو الإبقاء على هذه الوضعية بصفة دائمة، وذلك ضماً منها أن لغتها الأصلية غير قادرة على مواكبة متطلبات العصر واستيعاب العلوم والتكنولوجيا، وترى أنه من الضروري وجود لغة أجنبية تستطيع تغطية هذا النقص.

وقد يكون العكس، حيث تتخذ الازدواجية اللغوية في بعض الدول كحل مؤقت وانتقالي، إلى حين أن تتمكن من إرساء وضبط لغتها الأصلية، كلغة علمية قادرة على مساندة التطورات التي تشهدها الساحة العالمية.

وعلى العموم يمكن تصنيف نوعين من الازدواجية اللغوية، حسب الهدف والمدة التي تستغرقها وهما:

- **الازدواجية الدائمة:** وهي أن ينطلق هذا البلد العربي أو ذلك من مبدأ الأصالة والافتح " فيعتمد لغتين للاستعمال في البلاد، واحدة تمثل الأصالة والماضي بما يمثله من عواطف وقيم وتراث وثقافة دينية، يفرض استبقاؤها الواقع التاريخي والثقافي للفئات العريضة من أفراد المجتمع، وواحدة توصف بأنها مفتاح التقدم، وغزو الكواكب، فيرى الحارصون على مستقبل البلاد استبقاؤها، ونشرها لتصل بالبلاد إلى مصاف الدول المتحضرة في العالم الأول والثاني".¹⁴

ويتم استبقاء اللغة الثانية في بعض البلدان العربية، على اعتبار أن اللغة العربية وحدها على ما هي عليه -في نظرهم- من جمود وضعف ستجمد حركة التنمية في البلد، إن لم تؤخرها، ولأن الجمود في عالم التقدم معناه التأخر.¹⁵

أما على مستوى الأفراد في حالة الازدواجية اللغوية المستقرة أو الثابتة فنقول أن المتكلم المثالي المزدوج اللغة واللسان " هو ذلك المتكلم المتمكن في وقت واحد من استعمال نوعين من اللغات المكتسبة معا، والقادر على ترفيتهما وتطويرهما بدون تمايز سواء من ناحية الاستعمال أو التوظيف"¹⁶

- الازدواجية المرحلية: وهي الازدواجية التي "تعتمد فيها اللغة الأجنبية لظروف طارئة تفرضها الضرورة لتهيئة الإطارات الوطنية، المتكونة باللغة الوطنية، لتقوم بمهمة التعريب الكامل و الشامل وهذا المثال نجده واضحا في المغرب حيث توجد النية لدى المسؤولين منذ الاستقلال على أن تصح اللغة العربية هي اللغة السائدة و المستعملة في جميع المجالات".¹⁷

وتتميز الازدواجية اللغوية المرحلية بثلاثة مظاهر و أشكال هي كالتالي:¹⁸

أ-مظاهر الازدواجية اللغوية الإضافية: **Supplémentaire** وهي لما تكون اللغة الثانية مستعملة فقط كمساعدة لسد بعض احتياجات الاتصال الظرفي أو المناسباتي.

ب-مظاهر الازدواجية اللغوية المكملة أو المتممة **Complémentaire** وهي لما تكون اللغة الثانية تضمن وضايف مكملة للتي تكون في اللغة الأولى، وذلك على مستوى المخزون و المعارف اللغوية للأفراد المكتملين.

ج-الازدواجية اللغوية التعويضية **de remplacement** : "وهي لما تكون اللغة الثانية تضمن تدريجيا كل الاحتياجات الاتصالية للمكتملين أو المتحدثين غير القادرين على ضمائهما في لغتهم الأولى، والذي يكون مستوى تعبيرهم باللغة الثانية أحسن من الأولى".¹⁹

4- الازدواجية اللغوية حسب النتائج المترتبة عنها: إن الازدواجية اللغوية ذات حدين ، فقد يترتب عن تطبيق الازدواجية اللغوية داخل البلد الواحد نتائج غير مرضية، وذلك إن لم يحسن توظيفها ، وتنعكس بالسلب، مما يتطلب إيجاد حلول للتخلص منها من جهة، ومن جهة أخرى فقد تكون نتائجها مرضية ومفيدة، مما يستدعي المحافظة عليها، ومن هذا نخلص إلى نوعين من الازدواجية اللغوية وهما:

- الازدواجية الإيجابية: وهي أن تكون مرحلية وخاصة، "بغرض النهوض بمستوى اللغة الوطنية وبالقدر الذي يفيد هذه اللغة ولا يضرها، وبغرض استعمالها للاستفادة من العلوم والتكنولوجيا والتعايش

مع الثقافات الأخرى لا غير، وتشترط فيها أن تبقى وتظل اللغة الوطنية، وطنية في الدستور وفي الواقع، واللغة الأجنبية أجنبية في اللسان والميدان حيث يحدد لها نطاق ضيق لا تتجاوزه بحيث تفيد من خلاله اللغة الوطنية ولا تعيقها فتقضي عليها".²⁰

إن الازدواجية اللغوية الإيجابية هي التي تساعد في نجاح عملية التعريب، ولا تكون سبب في القضاء عليه، أي على عكس ما هو حاصل إلى حد الآن في بعض البلدان العربية، التي انتهجت طريق الازدواجية المذهبية التي خلقت من المزدوج مواطنا أجنبيا في الحقوق و المكانة.²¹

- **الازدواجية السلبية:** وهي الازدواجية التي تتجاوز حدها لتتقلب إلى ضدها، فتسبب أكثر مما تصلح، وتهدم أكثر مما تبني، "ومن نتائجها أنها تخلق فئات، وطبقات اجتماعية متعارضة المصالح والاهتمامات والاتجاهات الفكرية والثقافية، والإيديولوجية وتخلق بالتالي اتجاهات اجتماعية معارضة للازدواجية من أساسها، ليس كرها في اللغة الأجنبية، وإنما حبا في اللغة الوطنية، وليس رفضا للتفتح وإنما رفضا للذوبان، وليس رفضا لحب البقاء وإنما رفضا لخطر الفناء".²²

إن مثل هذا النوع من الازدواجية اللغوية يشكل خطرا كبيرا على اللغة الوطنية وعليه فإن حل هذا الإشكال الذي خلفه الواقع الاستعماري لا يتم إلا بالتمسك بسيادة اللغة الوطنية من قبل جميع الأطراف المتصارعة وذلك على جميع الأصعدة الوطني و القومي والحضاري مثل جميع الدول والأمم التي تتمتع بالحرية والسيادة.²³

5- الازدواجية اللغوية على مستوى الأفراد:

إذا نظرنا إلى الازدواجية اللغوية على مستوى الأفراد، فإنه يمكننا تصنيف نوعين:

- **الازدواجية اللغوية الكاملة:** وتعرف كما يلي: "هي تلك الثنائية التي تمكن أفراد المجتمع من معرفة متساوية تماما بين لغتين مختلفتين السائدتين في المجتمع".²⁴

- **الازدواجية اللغوية غير المتوازنة:** ويقصد بها "تلك الثنائية التي يغلب فيها جانب على الجانب الثاني، وهي الأكثر انتشارا بين الأفراد والمجموعات الانسانية، وكمثال على ذلك أن يكون التكوين اللغوي العربي لدى الفرد الجزائري متفوقا على نظيره في اللغة الفرنسية والعكس صحيح، كأن تستخدم اللغة العربية في معظم المجالات وفي جميع العمليات، بينما تستعمل اللغة الفرنسية في جوانب قليلة".²⁵

6- الازدواجية اللغوية حسب الفئة: ويندرج ضمن هذا العنصر نوعين من الازدواجية اللغوية هما:

- **الازدواجية اللغوية الفردية Bilinguisme individuel**: ونعني بها قدرة الفرد وتمكنه من استعمال نظامين لغويين مختلفين، ولا يعد كل من يعرف لغتين مزدوجا، بل لا بد من توفر مجموعة من الشروط للحكم عليه أنه فرد مزدوج اللغة، ومن أهم هذه الشروط نذكر:²⁶

التمكن من اللغة الثانية و كمتحدث طبيعي، أي كلغة أولى، شرط أن يكون هناك استقلال بين النظامين، وهذا التمكن من اللغتين يكسبه سرعة التحول من نظام لغوي إلى نظام لغوي آخر بتغير الظروف، بالإضافة إلى قدرة الفرد على التعبير نفسه بالنظامين، وهو ما عبر عنه بالقدرة على الترجمة.

من خلال هذا الشرط يتضح أن هذا الشكل من الازدواجية اللغوية نادر جدا، "إذ لا يعود بالإمكان اعتبار مزدوجي اللغة سوى الأفراد الذين ولدوا نتيجة زواج بين شخصين ينتميان إلى مجتمعين لغويين مختلفين والذين يكتسبون بالتالي وبشكل طبيعي لغتين لغة الأب ولغة الأم كلغتين أم، ويملكون من جراء ذلك كفاية لغوية في اللغتين"²⁷

ولقد ذكر أحمد بن نعمان بعض الشروط نذكر منها:²⁸

- أن يكون للغة الوطنية مكان الصدارة في الإدارة والحياة العامة.
- أن يقتصر استعمال اللغة الأجنبية على المجال الدراسي، والبحث العلمي والتوجيه يكون للغة الوطنية، وتبعد اللغة الأجنبية عن الاستعمال في الحياة العامة، في الإدارة والإعلام.
- أن تفرس المناهج التربوية في نفوس هؤلاء الأفراد حب اللغة الوطنية كمبدأ لا يقبل المساومة والنقاش مثل العلم والاستقلال والسيادة الوطنية.

- **الازدواجية اللغوية الاجتماعية Bilinguisme social**: يمكن تعريف الازدواجية اللغوية الاجتماعية بأنها "استعمال لغتين كوسيلة اتصال في المجتمع أو المجموعة أو مؤسسة ما"²⁹. أي عندما ترم ظاهرة استعمال لغتين مجتمعا أو مجموعة ما،... يمكن في هذه الحالة أن نطلق عليها اسم الازدواجية الاجتماعية.

وترتبط الازدواجية اللغوية الاجتماعية، بالازدواجية اللغوية الفردية وليس في الإمكان دراسة ظاهرة بمعزل عن الأخرى، وأي محاولة لمناقشة مهارات الشخص مزدوج اللغة، أو جوانب شخصيته وعاداته اللغوية، سيدخل فيها بالتأكيد إشارات إلى المكانة التي تحتلها اللغة في الحياة الاجتماعية، ولكن على الرغم من هذه العلاقة الوطيدة بين الازدواجية الفردية والاجتماعية، خاصة من حيث النشأة فهذا لا يعني

أن الازدواجية اللغوية الاجتماعية تعتمد على عدد الأشخاص المستعملين للغتين أو على كثافة الظاهرة نفسها.³⁰

تقول جوليت غرمادي: "إن أي تجمعاً بشرياً، قليلاً عددياً، معزولاً نسبياً وعدم التمايز اجتماعياً، يمكنه بكل وضوح أن لا يستعمل سوى منظومة لغوية واحدة ولكن كثافة سكانية مرتفعة جداً وعدداً كبيراً من المتكلمين بلسان واحد، ليس في الظاهر شروطاً أولية لوجود متحدات ذات خطاب متعدد اللغات".³¹

ولكن للازدواجية اللغوية الفئوية الاجتماعية آثار وخيمة على المجتمع، كونها تقسم المجتمع إلى فئتين، فئة تتقن اللغة الأجنبية واللغة الوطنية، وفئة لا تعرف إلا اللغة الوطنية، وينتج عن ذلك رد فعل حتمي من طرف الفئة التي لا تجيد إلا اللغة الوطنية، وينتج عن ذلك رد فعل حتمي من طرف الفئة التي لا تجيد اللغة الأجنبية، حيث تقف عدائياً من الفئة الأخرى.

بالإضافة إلى الأنواع السابقة، فإنه يمكننا أن نقسم الازدواجية اللغوية إلى أنواع أخرى، وهذا حسب إمكانية الفرد المتكلم على التكلم بلغتين، وكذا درجة التحكم في نظامين لغويين مختلفين ويمكن حصر هذه الأنواع فيما يلي:³²

- الازدواجية اللغوية المركبة أو المختلطة **Composé ou mixte**: وهي عندما يكون استعمال اللغتين على قدم واحد من المساوات وبدون تمييز.
- الازدواجية اللغوية المنسقة أو المنظمة **Coordonné**: وهي عندما يكون استخدام اللغتين بطريقة منهجية ونظامية حيث يتم توظيف هاتين اللغتين كل حسب الحالة التي يتطلبها الاتصال.
- الازدواجية اللغوية المتناسقة أو المتماثلة **Symétrique**: وهي عندما يكون التحكم في اللغتين متساوياً ومتكافئاً.
- كما يمكننا تصنيف أنواع أخرى من الازدواجية اللغوية غير منظمة ولا تخضع لمعايير محددة، ولكنها تعتمد بدرجة كبيرة على الفهم والإدراك وهذه الأنواع هي:³³
- الازدواجية اللغوية غير المتناسقة **Asymétrique**: وهي عندما يكون التحكم في اللغتين غير متساوياً وغير متكافئاً.

- الازدواجية الإدراكية والتعبيرية **D'intellection et d'expression**: وهي التي تقوم على قوة الفهم والإدراك وعلى قدرة التعبير، وهذا لما تكون اللغتين في الوقت نفسه مفهومتين ويمكن التعبير بهما كذلك.

- الازدواجية اللغوية الإدراكية **D'intellection**: وهي التي تقوم فقط على قوة الفهم والإدراك، وهذا لما تكون إحدى اللغتين مفهومة، لكن لا يمكن التحدث والتعبير بها.

ثالثا: أسباب وجود ظاهرة الازدواجية اللغوية: يعود سبب وجودها إلى:

- الاستعمار: إن الاحتلال العسكري قد أدى إلى درجة معينة ومعتبرة من الازدواجية اللغوية، وحتى في الحالات التي لم توافق حضارة المحتل سلطته الاحتلالية فهو يعتبر السبب الرئيسي في الازدواجية اللغوية الأكثر ثباتا، لأن لغة المستعمر فرضت بجد السيف وبالقوة العسكرية والاقتصادية.³⁴

يعد الاستعمار بمختلف أشكاله أول الأسباب المؤدية إلى حدوث ظاهرة الازدواجية اللغوية، لأنه يأتي حاملا للغة غير لغة البلد المحتل، ويقاؤه مدة طويلة في هذا البلد ينجر عنه احتكاك بين العنصرين، مما ينجم عنه احتكاك في اللغة ويكون في أغلب الأحيان يفرضها بالقوة في التعليم والإدارات ومختلف مؤسسات الدولة، مما يخلق ظاهرة ازدواجية اللغة.

وهكذا يستمر الوضع حتى بعد الاستقلال، ففي أغلب الأحيان تبقى الدولة المستعمرة على لغة المستعمر، فيتم اختيارها كلغة رسمية مثل الفرنسية في السنغال، والنيجر ومالي والآنجليزية في غامبيا، غانا، وجنوب إفريقيا.

فاللغة الأم لهذه الدول وجدت نفسها في وضع متدني، "أما لغة المستعمر فكانت هي اللغة المستخدمة في جميع الأنشطة وخاصة في التعليم، ومن الأمثلة على هذه الأوضاع نجد تونس التي عجزت على الاستغناء عن اللغة الفرنسية مما جعلها تفضل سياسة الازدواجية الدائمة، ولبنان التي بلغ عدد المتدربين فيها باللغة الفرنسية نسبة 87% و70% من سكانها باستطاعتهم تكلم اللغة الإنجليزية"³⁵.

وهكذا فتح الاستعمار الباب على مصراعيه للازدواجية اللغوية وهو الوضع العام مع اختلاف المواقف والسياسات من بلد إلى آخر باختلاف درجة التجانس اللغوي.

- التجارة: تساعد التجارة بنوعها الداخلي والخارجي، والمبادلات التجارية وخطوط المواصلات من المراكز التجارية على ظهور مستوطنات جذبت الناس من مختلف اللغات وشجعت الأفراد لأسباب

تجارية على تعلم والتعرف على لغات أخرى، فإذا كانت القرية تتميز بالأحادية اللغوية فإن المدينة تتميز بالتنوع اللغوية والازدواجية اللغوية.

لقد أصبح للازدواجية اللغوية دورا هاما في المراكز الرئيسية للمنظمات العالمية والمراكز السياحية والمدن العالمية الكبرى، وهو ما يلاحظ في كندا، حيث أصبحت الازدواجية اللغوية أداة ومادة أولية بالنسبة للتنمية التجارية، فخيرتها الكبيرة في تعليم اللغات، جعل الازدواجية اللغوية من ضمن مواردها الأولية التجارية على الصعيد العالمي.³⁶

- **الهجرة:** تتشابه الهجرة إلى حد ما مع التوسع في أنهما يعبران عن حركة شعب ونقله لثقافته من دولة إلى أخرى، إلا أنهما يختلفان من حيث السبب والهدف الذي جاؤوا من أجله إلى هذا البلد، فالهجرة غالبا ما تكون للعمل والترفيه والدراسة، فتحدث ظاهرة الازدواجية اللغوية كنتيجة حتمية للاحتكاك المتبادل بين المهاجرين وسكان البلد المهاجر إليه، ففي أغلب الأحيان يتم امتصاص المجموعة المهاجرة وتنسى لغتها الأصلية.³⁷

أما من جهة أخرى فالهجرة هي: "حركة جماعية بشرية في الانتقال من منطقة إلى أخرى، لأسباب عديدة أهمها الهروب من وضع اجتماعي مزر أو الهروب من إبادة عرقية أو دينية أو ضغوط سياسية أو ظروف اجتماعية، مما يؤدي إلى انتشار لغة هؤلاء المهاجرين، وهكذا تحدث ظاهرة الازدواجية اللغوية".³⁸

- **الوحدة السياسية:** الوحدة السياسية هي تلك الوضعية التي تضطر الدول إلى اتخاذها، لتضمن تطورها وتفوقها على الدول الأخرى، حيث تعمل هذه الدول على رفض كل ما يؤدي إلى التفرقة والتشتت.

وهذا ما حدث في أغلب دول العالم، فالصين مثلا يوجد بها عدد كبير من اللغات المختلفة، لكن الدولة فرضت لغة رسمية على كل الصينيين وهي لغة الماندرين، ودول المغرب العربي التي يتحدث سكانها الأصليون اللغات الأمازيغية، في حين يتحدث المغاربة العرب اللغة العربية، التي اختيرت لغة وطنية ورسمية في هذه البلدان بهدف تحقيق الوحدة، ولاعتبارات أخرى.

وهذه الوحدة التي تهدف إليها الدول، تنشئ ظاهرة الازدواجية اللغوية، لأنه يصبح من الضروري تعلم اللغة المعتمدة من طرف الدولة، وبالتالي يضطر أصحاب الخصوصيات اللغوية استعمال اللغة الرسمية في البلاد بالإضافة إلى لغتهم الأصلية.³⁹

- التفوق الديمغرافي: إن بقاء اللغة أو زوالها يرتبط بسيطرة لغة على أخرى، وعدد المتكلمين باللغة الواحدة في المجتمعين اللغويين عامل حاسم بالنسبة لأهمية الازدواجية اللغوية، فحجم المجموعة السكانية التي تتحدث إحدى اللغات كلغتها الأصلية مرتبط بعدد الناطقين بها. ففي إفريقيا الجنوبية التي هي الدولة الأكثر ازدواجية في العالم، " بنسبة 73% يتكلمون لغتين، وذلك يعود إلى أن عدد السكان الذين يتكلمون لغة واحدة هو نفسه تقريبا بالنسبة للغتين الرسميتين: 15% بالنسبة للغة الإنجليزية و19% بالنسبة للغة الأفريقانية AFRICANERS. وبقدر ما يكون الفرق العددي بين المجتمعين اللغويين بقدر ما يكون الفرق العددي بين المجتمعين اللغويين بقدر ما تكون النسبة المئوية للأفراد المزدوجين في مجتمع الأقلية مرتفعة شرط أن لا يكون لعوامل أخرى أي تأثير وهي الجماعة اللغوية الضاغطة.⁴⁰

- الفاعلية والنفوذ: يعتبر النفوذ عاملا أساسيا وفعالا في انتشار الازدواجية اللغوية، فالقوة المادية، ونفوذ الجماعة اللغوية، وإن قل عددها، تصبح أكثر بنفوذها لا لعددها وهذا النفوذ عامل هام بالنسبة للغة، فنفوذ الجماعة وقوتها وفعاليتها يؤدي إلى قوة اللغة وبنفوذها ومثال ذلك اللغة الإنجليزية التي غزت العالم، رغم حداثة وجودها، ولكنها أصبحت لغة العالم والعلم والتكنولوجيا، وأصبحت معظم دول العالم تسعى لتعليمها، ولأنه كما يقول ابن خلدون "المغلوب مولع بتقليد الغالب.

- العلاقات الخارجية: تؤثر العلاقات الخارجية بكل أنواعها سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو إعلامية بين الدول على لغاتها، إذ أنه " كلما قويت العلاقات التي تربط أحدها بالآخر، وكثرت فرص الاحتكاك المادي والثقافي نشطت بينها حركة تبادل لغوي، ولذلك تبلغ هذه الحركة أقصى شدتها حينما يتجاوز شعبان".⁴¹

ومن أمثلة ذلك شيوع اللغة الإنجليزية وانتشارها في العالم كنتيجة حتمية للهيمنة الاقتصادية والإعلامية وبعابها عضوا مسيطرا على مختلف العلاقات الدولية. وما زاد في انتشار هذه اللغة وانتزاعها لهذه المكانة العالمية هو كونها اللغة المسيطرة على مختلف الهيئات الدولية والأمم المتحدة، وهذه اللغة السائدة في مختلف البنوك الدولية والصحافة والإعلام.⁴²

- التوسع والارتقاء: إن الازدواجية اللغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعصر التاريخي والظرف الزمني الذي وجدت فيه كلتا اللغتين، ومما يساعد على انتشارها:⁴³

- اختلاف مرحلة الارتقاء بالنسبة لكل لغة.

- ارتباط الارتقاء بعدد الأشخاص الذين يتكلمون اللغة الأم أو اللغة الثانية إضافة إلى نوعية الأفراد الذين يتكلمون اللغة الثانية.
- **التربية والتعليم:** يعد التعليم عامل مهم وخطير في الازدواجية اللغوية وهو من عوامل استقرارها، وسيطرت لغة التعليم وخاصة التعليم العالي معناه سيطرة على جميع مرافق الدولة، إذ أن لغة التعليم تستعمل في جميع المجالات وكافة القطاعات، مما يزيد في توسع اللغة الثانية وتمركزها، باعتبار التعليم وخاصة التعليم العالي منه والتخصصات التقنية شريان الأمة وروحها الاقتصادية ووسيلتها نحو مستقبلها.⁴⁴
- **وسائل النشر والإعلام:** يعد قطاع الإعلام من أهم القطاعات في العصر الحديث التي لها تأثير كبير ومباشر على اللغة، فوسائل الإعلام هي أولا وسائل نشر لغوي وانتشار لغة ثانية، يكون سريعا ومثبتا عن طريق النشر والإعلام، فالتطور الذي شهده المجال الإعلامي بكل وسائله ساعد على نشر لغات أجنبية على حساب اللغات المحلية، وهكذا تجد اللغة المحلية نفسها في منافسة مع لغة أجنبية تحاول السيطرة على كل مجالات الحياة وهكذا تثبت الازدواجية اللغوية.⁴⁵

خاتمة:

نخلص في ختام هذا البحث إلى أن:

- ظاهرة الازدواجية اللغوية من بين الظواهر اللغوية الاجتماعية التي اختلفت الآراء والتحليل التي تناولتها بالدراسة، فلقد حاولت كثير من بحوث اللسانيات الاجتماعية ضبط هذه الظاهرة والإحاطة بجوانبها وذلك من خلال تناولها بالبحث والدراسة من كل جوانبها بدءا بالمفهوم الذي نجد أن معظم الباحثين والدارسين لهذه القضية اتفقوا على أن الازدواجية اللغوية يقصد بها امتلاك لغتين مختلفتين واستعمالهما بنفس الدرجة.
- يشكل موضوع الازدواجية اللغوية أهمية بالغة في بحوث اللسانيات الاجتماعية، لذلك نجد لها أنواعا كثيرة ومختلفة، فلقد قسمها كل باحث من وجهة نظر، ووفق مقاييس تختلف عن تقسيم الباحث الآخر.
- تعددت أنواع الازدواجية وقد تعدد أسباب وجود ظاهرة الازدواجية اللغوية وأهمها الاستعمار، الهجرة والتجارة الوحيدة السياسية، التفوق الديموغرافي والفاعلية والنفوذ، العلاقات الخارجية، التوسع والارتقاء، التربية والتعليم بالإضافة إلى وسائل النشر والإعلام.

هوامش:

- ¹ محمد التنوحي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة الألسنيات، دار الكتب العالمية، ط: بلا. بيروت، 2001، مع: 1. ص 18.
- ² ينظر محمد الأوراعي، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، الرباط، ط: 1، 2002. ص 11.
- ³ صالح بلعيد، هوم لغوية، الجزائر: جامعة مولود معمري تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. ط: بلا. ، 2012. ص 306.
- ⁴ المرجع نفسه.
- ⁵ جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه نظرياته وقضاياها الجزء الأول المناهج والنظريات، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط: بلا ، 2003. ص 109.
- ⁶ ينظر أحسن حمران، "الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية دراسة مسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1997/1998. ص 63.
- ⁷ المرجع نفسه. ص 65.
- Georges Maunin, Dictionnaire de la linguistique, France, Juin 2006. Page 52.⁸
- ⁹ ينظر أحسن حمران، "الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية دراسة مسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة". ص 69.
- ¹⁰ المرجع نفسه. ص 70.
- ¹¹ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 1981، ص 71.
- ¹² المرجع نفسه.
- ¹³ أحمد بن نعمان، الازدواجية اللغوية في البلاد العربية بين الضرورة الحضارية والخطورة المنهجية، المستقبل العربي، العدد 130، ديسمبر 1989، ص 80.
- ¹⁴ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق. ص 221.
- ¹⁵ المرجع نفسه. ص 222.
- ¹⁶ ينظر أحسن حمران، "الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية دراسة مسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة"، ص 73.
- ¹⁷ أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، ص 224.

- ¹⁸ ينظر أحسن حران، "الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية دراسة مسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة"، ص 73-74.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص 74.
- ²⁰ أحمد بن نعمان، "الازدواجية اللغوية في البلاد العربية بين الضرورة الحضارية والخطورة المنهجية"، ص 85.
- ²¹ ينظر أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ و التطبيق، ص 238.
- ²² أحسن حران، "الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية، دراسة نظرية ومسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة"، ص 75.
- ²³ المرجع نفسه، ص 71.
- ²⁴ أحمد بن نعمان، "الازدواجية اللغوية في البلاد العربية بين الضرورة الحضارية والخطورة المنهجية"، ص 230.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص 71.
- ²⁶ ينظر: ميجيل سحوان ووليام ف. مكاي، التعليم وثنائية اللغة، ص 2.
- ²⁷ ميشال زكرياء، قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1993، ص 37.
- ²⁸ ينظر: أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، ص 236.
- ²⁹ ميجيل سحوان ووليام ف. مكاي، التعليم وثنائية اللغة، ص 22.
- ³⁰ ينظر: المرجع نفسه.
- ³¹ حنان عواريب، "الازدواجية اللغوية في المؤسسة الجزائرية، إدارة جامعة ورقلة نموذجاً"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص لسانيات اللغة العربية وتعليماتها، قسم الأدب واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 22 جانفي 2006، ص 43.
- ³² ينظر أحسن حران، "الاتجاه اللغوي لجمهور وسائل الإعلام الجزائرية في ظل الازدواجية اللغوية دراسة مسحية لعينة من طلبة مدارس ومعاهد التعليم العالي بالجزائر العاصمة"، ص 77.
- ³³ المرجع نفسه، ص 78.
- ³⁴ ينظر دليلة سعيداني، "الازدواجية اللغوية في الجامعة الجزائرية دراسة لسانية ميدانية معهد الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة نموذجاً"، بحث لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر بيانة. 2000/1999. ص 29.
- ³⁵ حنان عواريب، "الازدواجية اللغوية في المؤسسة الجزائرية إدارة جامعة ورقلة نموذجاً"، ص 45.
- ³⁶ ينظر دليلة سعيداني، "الازدواجية اللغوية في الجامعة الجزائرية دراسة لسانية ميدانية معهد الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة نموذجاً"، ص 35.
- ³⁷ ينظر: ميجيل سحوان ووليام ف. مكاي، التعليم وثنائية اللغة، ص 26.

³⁸ ينظر دليلة سعيدي، "الازدواجية اللغوية في الجامعة دراسة لسانية ميدانية معهد الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة نموذجاً، ص 35.

³⁹ ينظر عواريب، "الازدواجية اللغوية في المؤسسة الجزائرية، إدارة جامعة ورقلة نموذجاً"، ص 46.

⁴⁰ دليلة سعيدي، "الازدواجية اللغوية في الجامعة الجزائرية دراسة لسانية ميدانية معهد الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة نموذجاً، ص 31-32.

⁴¹ هادي نحر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ساعد على طبعه الجامعة المستنصرية، ط: 1، 1988. ص 130.

⁴² ينظر حنان عواريب، "الازدواجية اللغوية في المؤسسة الجزائرية، إدارة جامعة ورقلة نموذجاً"، ص 45.

⁴³ دليلة سعيدي، "الازدواجية اللغوية في الجامعة الجزائرية دراسة لسانية ميدانية معهد الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة نموذجاً"، ص 33.

⁴⁴ المرجع نفسه. ص 34.

⁴⁵ المرجع نفسه. ص 35.